عدنا من الموت

عثمان حسين، فلسطين

كيف؟

كيف يبدأ مَن ينتهي، و يمنح الغياب مبرِّراً للغياب، و قدرةً غامضة للحضور؟

تَمْرين آخر للحياة، كفرصة أخرى.

خطوت بقدمي اليمنى،

و دخلت الغَمْر العظيم.

لم أدخله يا رفاق!

لكنها اليد العملاقة صفعتني،

فانغمرتُ.

أفقدتني كينونتي فاندهشتُ.

وحين استرجعتها، فقط، تذكرت خطوتي ويمناي.

ظلي

يمشي إلى جواري،

مانحاً إياي الرفقة،

نغذُّ الخطى كصديقين قديمين.

أحيانا يستشيرني في ما سيحدث لو سقط فجأة في الطريق،

- هل سأترك ظلي ملقى وبارداً؟

- ربما أمضي تاركاً إياه جثة تحمل أوزار الليل.

في الصباح سأتجاهل تلك اللحظة الخسيسة،

ونمضي نهارنا غامقين،

نرتاح في عزِّ الظهيرة راضيين،

ثم،

ليذهب ويحترق مثلي،

يحترق كفراشة بلا بوصلة.

عدنا من الموت

ماذا أفعل بجثتي؟

عدنا من الموت حاملين أكفان الحياة و أكياس الطحين،

نعبر طرقات لم نألفها،

و نرى وجوهاً أنهكها الجوع و الاحتضار.

كيف أخاطبها و قد فقدتْ بوصلة الطريق إلى بيتها المعجون بالتراب؟

تحللي و اتركيني،

اتركينا نحمل أكفان الحياة من جديد.

ملح الذاكرة

توكأتُ على جدار البارحة

كأنني توكأتُ ...

احترسي يا جرأة النار،

كل الشموع تحطمت على مشارف الماء.

الشهداء صفقوا جيداً حين أعلنتُ

براءة الذئب من دمي.

استسلمي يا جرأة النار،

متى سأشهد أنني مخلص؟

الحريق الساذج على شفة تشتهي نفسها.

سقطت ملامح النيل على لونه المنشقِّ

عن جديلة البحر.

اخرجي يا جرأة النار،

اخرجي،

لم يعد بيننا سوى ملح الذاكرة.

سماء غزة

رأيتك واثقاً

إلها تملأ عيون الشاخصين إليك،

[سماء غزة أرهقتها عيون الجميلات]

و بعد قليل ستخرج.

سيقتحم الفاتحون خلوتي،

سنترك فنجان القهوة

و شمعتين ذليلتين تبددان

قسوة الاقتحام.

ستخرج وتترك الظل للشجر

و رغبتي لي.

[ثمة ما يشي بك دائما إليَّ

حين يبللك الشعر و الرصاص]

إنكم تبذرون الفضاء رصاصاً وشتائم

أراكم جيداً تلعنونني

احترسوا إذن من لعنة ستصل ...

لحظة عمياء

هدوء مخيف يحلق كاستثناء فوق أشلائنا الموصولة بأبداننا.

أفكر في النوم كلما أطل الهدوء برأسه القبيح،

لكنني ألقي بفكرة النوم جانباً حين تباغتني صرخة طفلتي معلنة عن صوت صاروخ بعيد.

و في طريقه إلى مجهول ربما نكونه، يكبر الصوت قادماً من مجهول نعلم خباياه اللعينة،

إلى مجهول لا يعلم كم طفلاً سيلتهم بعد لحظة عمياء.

اللحظة ستلفظ الهدوء خارج الزمان، لتعيدنا إلى سكة الموت،

منتظرين هدوءاً هارباً من جديد.

ضحايا وغاضبون

غاضبون من كوننا ضحايا دائمين في عرف الغيب،

ولتعلموا أنه تخلقت لنا قدرة على جلد ذواتنا بما يليق بضعفها.

أنْ نغضب ونظل نغضب يعني أننا سنحترف الغضب، ونحمل رايته لأجيال.

الضحايا يغضبون،

و كما لو أن الغضب يعيد تشكيل بُنية الضحية روحياً ومادياً و ينفخ فيها أخلاقه الغضْبى.

نعم نحن الضحايا الغاضبون من موتهم قرباناً لآلهة نجهلها،

أو ثمناً نجهل قيمته